وهكذا لم يستطع التدخل العربي أن يوقف الكارثة أو يقلل من حجمها. ولكن الكارثة كان لها نتائجها في طبيعة الطرف العربي؛ إذ وضعت الجماهير العربية أمام تحدي التغيير من الداخل ومهدت الطريق لتصاعد دور حركة التحرر العربية وبروز قوى سياسية واجتماعية جديدة تكون لها نظرتها الأكثر جدية في معادلة الصراع.

ثالثاً: مرحلة ما بعد النكبة

لم تكن نكبة عام ١٩٤٨ حدثاً مفاجئاً في جدلية الصراع، ولم تكن كذلك تحولاً بسيطاً في التاريخ الحديث للأمة العربية، بل كانت حداً فاصلاً بين عهدين، وتغيرت بها طبيعة كل طرف من الأطراف، حتى أنه ليس من قبيل المغالاة التأكيد على أنه «لا شيء بعد النكبة يشبه ما قبلها».

ومن خلال المنطق الخاص بجدلية الصراع العربي الصهيوني فقد تغير كل شيء، ربما باستثناء بند واحد ظل ثابتاً في المعادلة وهو التطابق الصهيوني الاستعماري. أما ما عدا ذلك، فقد طرأت تغيرات جذرية على الأطراف الثلاثة، مما صعد بمستوى الصراع إلى درجات لم يعرفها من قبل، فقد أصبحت الصدامات حروباً بين دول، وأصبحت الخسائر البشرية والمادية والمعنوية ذات أبعاد كبيرة جداً، وتعمق البعدان الدولي والعالمي للصراع بحيث أصبح من غير المستهجن التخوف من أن تكون منطقة الشرق العربي هي الصاعق الذي يهدد بتفجر الوضع الدولي، وأخيراً اتضحت أكثر من أي وقت مضى طبيعة الصراع، وهي كونها قضية موت أو حياة بالنسبة للوطن العربي بأكمله لا بالنسبة لفلسطين وشعبها العربي فحسب.

ولقد مضى الآن ثلث قرن ويزيد على تطورات الصراع، وكانت هذه الحقبة حافلة بالتطورات الدرامية من عسكرية وسياسية واقتصادية، وليس من الممكن استقصاء كل هذه التطورات في المقدمة الحالية، ليس بسبب ضيق المجال فحسب بل كذلك خوفاً من ضياع المعنى المقصود من العرض الحالي. ولذا سيجري تحليل وضع كل من الأطراف الثلاثة بمنتهى الاختصار، ومن خلال زاوية واحدة فقط هي اتجاه جدلية الصراع نحو الاكتمال، مما يعني بالدرجة الأولى تناقص مقدرة الطرف الصهيوني الاستعماري على تحقيق مخططاته.

١ ــ الطرف الصهيوني

بعد مضي ثلث قرن على قيام الكيان الصهيوني يستطيع الباحث اليوم أن يقول باطمئنان ان «اسرائيل» أخفقت في أن تكون تجسيد الحلم الصهيوني القديم. ان غلاة الصهيونيين اليوم يؤكدون على هذه الحقيقة بل أنهم يندبون اسرائيل وما تمثله من هزال داخلي ومن صورة بشعة للغطرسة الناجمة عن الشعور بالضعف.

ومن الثابت أن نمو الدولة الصهيونية أتى بنسب أضعف بكثير مما خطط له المشروع الصهيوني ذو الجوانب البشرية والاقتصادية والسياسية والعسكرية. ولنحاول أن نستعرض المسألة من خلال هذه الجوانب.

(أ) المشروع البشري:

لقد كانت الهجرة دائماً الهاجس الأول لزعماء الصهيونية، وهي الحصان الأساسي